مدرس المادة
م.م. وسن ممدوح مراد

أحكام كتابة الضاد والظاء في اللغة العربية

دراسة صوتية وصرفية ودلالية

الحمد لله الذي شرف العربية بحروفها، وخصّها بأصواتٍ لا نظير لها في لغات العالم، ومن أبرزها حرف الضاد الذي سُمّيت العربية باسمه. ويقترن الحديث عن الضاد غالبًا بحرف الظاء لما بينهما من تقاربٍ في المخرج واختلافٍ في الدلالة، الأمر الذي أدّى إلى شيوع الخلط بينهما كتابةً ونطقًا، ولا سيّما في الاستعمال المعاصر.

تُعدّ قضية التمييز بين حرفي الضاد والظاء من القضايا الصوتية والإملائية التي حظيت باهتمام علماء العربية قديمًا وحديثًا؛ لما لهذين الحرفين من تقاربٍ في الصفات الصوتية، واختلافٍ بيّن في المخرج والدلالة. وقد ترتّب على الخلط بينهما اضطراب في المعنى، ومسٌّ بسلامة النص، ولا سيما في النص القرآني والأدبي.

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان الأحكام العلمية التي تضبط كتابة الضاد والظاء، من خلال تحليلٍ صوتي وصرفي ودلالي، مع توثيقٍ علمي من مصادر اللغة وعلوم القرآن.

أولًا: الضاد والظاء في الدرس الصوتي

1. مخرج الضاد وصفاته: ذهب سيبويه إلى أن مخرج الضاد: «من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس».(سيبويه، الكتاب، 435/4).

وهي حرف:

• مجهور• مستعلٍ• مطبق• رخو

ولهذا عدّها ابن جني من أعسر الحروف نطقًا: «وأصعب الحروف على اللسان الضاد» (ابن جني، سر صناعة الإعراب، 63/1).

2. مخرج الظاء وصفاته

أما الظاء فمخرجها: «من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا» (ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 202/1).

وهي تشترك مع الضاد في الجهر والاستعلاء والإطباق، وتفترق عنها في المخرج، وهو سبب رئيس في الالتباس بينهما.

فخلاصة ذلك: . **حرف الضاد (ض)**

- مخرجه: من إحدى حافتي اللسان أو كلتيهما مع الأضراس العليا.
- صفاته: الجهر، الاستعلاء، الإطباق، الرخاوة.
- تميّزه: حرف عربي خالص، لا يكاد يوجد بصوته الصحيح في اللغات الأخرى.

حرف الظاء (ظ)

- مخرجه: من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا.
- صفاته: الجهر، الاستعلاء، الإطباق.
- اشتراكه الصوتي: يشترك مع الذال والثاء في المخرج العام، ويفترق عنهما بالإطباق والاستعلاء.

ثانيًا: أسباب الخلط بين الضاد والظاء

1. تقارب الصفات الصوتية (الاستعلاء والإطباق).
2. ضعف الملكة اللغوية في الاستعمال الفصيح.
3. تأثير اللهجات العامية التي تُبدل الضاد ظاءً أو دالًا مفخمة.
4. إهمال المعاجم والاعتماد على السماع غير المنضبط.

ثالثا: قلة ألفاظ الظاء وكثرة ألفاظ الضاد

نصّ عدد من العلماء على أن الظاء قليلة في كلام العرب، بينما الضاد كثيرة الدوران، يقول ابن قتيبة: «الظاء قليلة في الكلام، والضاد أكثر منها» (ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 160).

وقال الزمخشري: «من عرف كلمات الظاء زال عنه الإشكال» (الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، ص 32).

رابعا: ألفاظ الظاء المحصورة في العربية:

اجتهد العلماء في حصر ألفاظ الظاء، ومن أشهر ما ذُكر:

ظلم – ظفر – ظن – ظهر – ظرف – ظعن – ظل – ظليم – ظبي – ظمأ – ظلام – ظريف.

قال السيوطي: «ما عدا هذه الأصول وفروعها فهو بالضاد» (السيوطي، المزهر في علوم اللغة، 290/1).

خامسا: التمييز الدلالي بين الضاد والظاء:

يُعدّ الفرق الدلالي من أقوى وسائل التمييز، ومن أمثلته:

- ضَلَّ: ذهب عن الطريق
- ظَلَّ: أقام بالنهار
- نَضَرَ: حسن ولان
- نَظَرَ: أبصر وتأمّل

وقد نبّه ابن فارس إلى هذا الأصل الدلالي بقوله: «اختلاف الحرف يؤدي إلى اختلاف المعنى وإن تقاربا لفظًا» (ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة: نظر/نضر).

سادسا: الضاد والظاء في القرآن الكريم

ورد الحرفان في القرآن الكريم بدقة متناهية، واللحن فيهما يُعدّ لحنًا جليًا لتغييره المعنى.

قال ابن الجزري: «والخطأ في الضاد والظاء مما يغيّر المعنى، فوجب الاحتراز عنه» (ابن الجزري، النشر، 210/1).

ومن أمثلته: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾

سابعا: وسائل ضبط الكتابة الصحيحة

1. ردّ الكلمة إلى أصلها الصرفي.
2. مراجعة المعاجم المعتمدة.
3. حفظ ألفاظ الظاء المحصورة.
4. الاستدلال بالمعنى والسياق.
5. الاستئناس بالشواهد القرآنية والشعرية.

الخاتمة

يتبيّن مما سبق أن التمييز بين الضاد والظاء ليس مسألة إملائية فحسب، بل هو قضية لغوية مركّبة تتداخل فيها الأصوات والدلالة والصرف. وقد أسهم علماء العربية في وضع ضوابط دقيقة لحسم هذا الإشكال، ولا يزال الأخذ بها ضرورة لصيانة اللسان والقلم.